د. طارق زيناي

السنة أولى ليسانس جذع مشترك

مادة الأدب العربي القديم (نثر)

المحاضرة الرابعة: الأمثال والحكم

عناصر المحاضرة : [تعريف المثال (لغة، اصطلاحا) – أهمية الأمثال – السمات الأسلوبية للمثل – أنواع الأمثال – تعريف الحكمة (لغة اصطلاحا) – الخصائص الأسلوبية للحكمة – الفرق بين المثل والحكمة]

تعريف المثل :

لغة :

جاء في المعاجم العربية معنى مادة (م ث ل) على النحو الآتي:

. « مثل: كلمةُ تَسْوِيَة، يُقَالُ: هَذَا مثْله ومثَله كَمَا يُقَالُ شبْهه وشبهه بمعْنًى؛ قَالَ ابن برِّيّ: الْفَرقُ بين المماثَلَة والمساواة أَن المساواة تَكُونُ بَيْنَ المختلفين فِي الْجنْس والمتَّفقين، لأَن التَّساوي هُوَ التكافُؤُ فِي المقْدار لَا يزِيدُ ولَا ينقُص، وأَما المماثَلَة فَلَا تَكُونُ إِلا فِي الْمُتَّفقين، تَقُولُ: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإِذا قيل: هُوَ مثْله عَلَى الإِطلاق فمعناه أَنه يسدُّ مسدَّه، وإِذا قيل: هُوَ مثْلُه فِي كَذَا فهُوَ مساوٍ لَهُ فِي جهة دُونَ جهة، والْعرب تَقُولُ: هُوَ مثيل هَذَا وهُمْ أُمَيْثالُهم، يريدون أَن المشبَّه بِهِ حقيرٌ كَمَا أَن هَذَا حقيرٌ، والمثْل: الشَّبه. يُقَالُ: مثْل ومثل وشبْه وشبه بمعْنًى واحد... »[1]

. « (مثل) الْميم والثَّاء واللَّام أَصْلٌ صَحِيحٌ يدُلُّ عَلَى مُناظَرَة الشَّيْء للشَّيْء، وهَذَا مثْلُ هَذَا، أَيْ نظيره، والْمثْل والْمثَال فِي معْنًى واحد، وربَّمَا قَالُوا مثيلٌ كشبيه، تَقُولُ الْعرب: أَمثل السُّلْطَانُ فُلَانًا: قَتَلَه قودا، والْمعْنَى أَنَّه فعل بِهِ مثْل ما كَانَ فعَله. والْمثْل: الْمثْل أَيْضا، كَشبه وشبه، والْمثَل الْمضْرُوب مأْخُوذٌ من هَذَا، لأَنَّه يُذْكَر مورَّى بِهِ عَن مثْله فِي الْمعْنَى...»

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 1414 هـ.، ص610. مادة [مثل]

[1] مما سبق يتبين لنا أن الأصل الثلاثي (م ث ل)، يدلُّ على معاني الشبه والنظير، والتسوية والمماثلة.

اصطلاحا :

. إنَّ المتأمل لتعريفات القدمى؛ يرى أنها موزعة بين النقاد كابن رشيق والبلاغيين كالزمخشري، ومؤرخي الأدب كابن حجة الحموي، والفقهاء كابن القيم الجوزية، وأصحاب كتب الأمثال كأبي عبيد القاسم بن سلام والميداني وغيرهم، ولكن أغلبها يفتقر للدقة والتحديد، اللهم إلا تعريفا أورده السيوطي للمرزوقي في كتابه (شرح الفصيح)، يقول فيه : « المثل جملة من القول مقتضَبةٌ من أصلها أو مرسلةٌ بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كلِ ما يصح قَصدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يُوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تُضرب وإن جُهلت أسبابُها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ومضارعَ ضرورات الشعر فيها ما لا يستجاز في سائر الكلام » [2]

فالمثل على حسب المرزوقي، يضرب في حالات مشابهة لمورده الأصلي، يمكن أن تكون مأخوذة من كلام، كالأمثال الواردة بين ثنايا الخطب والوصايا، أو يكون مضروبا ومرسلا لا تعلُّق له بغيره، ويمتاز بالقبول، حيث إنه من المعلوم « أنَّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النَّفاسة » [3]، ويضرب المثل ولو جَهِل أصله، ولا يتغير في حال من أحوال استعماله.

يعرف الزيات المثل بأنه :« جملة مقتطعة من القول أو مرسلة بذاتها، تنقل عمن وردت فيه، إلى مشابهة بدون تغيير» [4]

وقيل : « بأنه قول سائر شُبِّه مضربه بمورده، أو قل شُبِّه فيه حال المقول فيه ثانيا، بحال المقول فيه أولا » [5]

وقد تكاثر العلماء وتضافروا على جمع الأمثال وشرحها، حيث عدَّ ابن النديم في كتابه (الفهرست) عددا كبيرا من المؤلفات، منذ منتصف القرن الأول الهجري، التي وصلتنا وطبعت، نذكر منها كتب الأمثال للمفضل الضبي (ت 170 هـ)، كتاب الأمثال لمؤرج السدوسي (ت 195 هـ)، كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224 هـ)، كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة (ت291هـ)، كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)، كتاب المستقصي في أمثال العرب للزمخشري (ت 538هـ)، وكتاب مجمع الأمثال للميداني (ت 518هـ)، وهذا الأخير أجمعها وأدقها وأشملها، حيث جمع فيه صاحبه نحو خمسين كتابا سبقه.

---

[1] – ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج05، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1979، ص 296، 297.

[2] – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط01، 1998، ص 375.

[3] – المرجع نفسه، ج01، ص375.

[4] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، مصر، دط، دت، ص18.

[5] – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1992، ص 148.

أهمية الأمثال :

1/ إن الأمثال هي مرآة صادقة تنعكس فيها حياة الشعوب وعاداتها وتقاليدها، من خلالها تَعرف سلوكات أصحابها، وتطلعاتهم وآلامهم وآمالهم ولغتهم وآدابهم، فهي كما قال عنها ابن عبد ربه : « هى وشى الكَلَام وجوهر اللَّفْظ، وحلى الْمعَاني، تخيرتها الْعَرَب، وقدمتها الْعَجم، ونطق بهَا كل زمَان وعَلى كل لسَان، فهى أبقى من الشّعْر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شَيء مسيرها، ولَا عمَّ عمومها حتَّى قيل: أَسير من مثلٍ »[1]

2/ الأمثال نصوص لغوية أساسا، ولهذا، هي تحمل الكثير من خصائص اللغة وأسرارها، إفرادا وتركيبا، ولهذا يسوقها اللغويون والنحاة والبلاغيون جنبا إلى جنب، مع الشواهد القرآنية، والنبوية، والشعرية.

3/ للأمثال وظيفة لا تنكر في التأثير والإقناع والاحتجاج، فقد ضربها الله في قرآنه، والرسول صلى اللهعليه وسلم في سنته، والخطباء في خطبهم والشعراء في أشعارهم، والكتاب في رسائلهم . وللمثل مورد ومضرب، فأمَّا المورد : هو الحالة التي قيل فيها المثل ابتداء، وأمَّا المضرب[2]: فهو إطلاقه واستعماله في الحالات المتجددة، التي تشبه الحالة الأولى (المورد)، ولكن ليس بالضرورة أن يكون لكل مثل مورد (حادثة أو واقعة معينة ارتبط بها المثل)، فهناك الكثير من الأمثال لا قصة ولا حادثة لها، كالأمثال القرآنية والنبوية، والتي أُخذت من الأبيات الشعرية، والأمثال التي أصلها حكم، والأمثال المصدَّرة بأفعل التفضيل.

. مما سبق من تعاريف للمثل يتبين لنا أنَّه عبارة عن قول موجز بليغ شائع على ألسنة الناس، يمتاز بالإيجاز في اللفظ، والإصابة في المعنى، والحسن في التشبيه، والجودة في الكناية.

السمات الأسلوبية للمثل :

1/ **الإيجاز** : إذا كان الإيجاز من أظهر خصائص اللغة العربية، حتى أنه قيل (إن البلاغة الإيجاز)، فإنه في الأمثال أظهر وأوضح، فهو أبرز صفاتها وأخص خصائصها، يقول القلقشندي : « أما الأمثال الواردة نثرا، فإنها كلمات مختصرة، تورد للدلالة على أمور كلية مبسوطة، كما تقدّمت الإشارة إليه، وليس في كلامهم أوجز منها، ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يلوح بها على المعاني تلويحا، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا »[3] والإيجاز كما هو معروف، يشبع المعنى، ويطيل المغزى، ويغرق في التلميح... ولهذا اضطرَّ النحاة إلى تأويل المعنى وتقدير الإعراب فيها، ومن شواهد الإيجاز

---

[1] – ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج03، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1404هـ، ص 03.

[2] – اختلف العلماء في الأصل الحسي، الذي أُخذ منه لفظ ((ضرب)) المثل، فقيل مأخوذ من الضرب في الأرض؛ وهو الإيغال فيها، والإبعاد في أقاصيها، وقيل مأخوذ من ضرب الخباء، وهو نصبه وإقامة عمده، وقيل مأخوذ من ضرب الموعد، وقيل مأخوذ من الضَّرب والضَّريب، وهو المثل والنظير، وتخريجات أخرى...

[3] – أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج01، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1922، ص296.

في الأمثال ما يأتي: ((الحرب غشوم))، ((من أجدب انتجع))، ((آخر الدواء الكي))، ومن الإيجاز الحذف، مثل قولهم : ((التمر في البئر [1]))، ((سبق السيف العذَل)).

2/ **إصابة المعنى** : الأمثال نتاج خبرة، وثمرة تدبر وتأمل عميقين، وهي متعلقة بالإنسان، تتسم بالصدق والواقعية، تلقتها الشعوب بالقبول والتسليم، اعترافا منهم، بأنها تعبر عن مشاعرهم، وتطلعاتهم، وسلوكاتهم، وهي تأتي على صيغ متعددة تقرر مبدأ إصابة المعنى منها : الجملة الإسمية؛ التي تدل على الثبوت والدوام، كقولهم : ((أول الحزم المشورة))، ((المرء بخليله))، ((الحديث ذو شجون))، ((المكثار كحاطب ليل))، ((الحق مغضبة))، ((حيلة من لا حيلة له الصبر))، ... والجملة الإسمية؛ التي تدل الشمول والعموم والاستغراق، كقولهم : ((كل امرئ في بيته صبيٌّ))، ((كل ذات ذيلٍ تختال))، ((كل شاة تناط برجلها))، ((كل فتاة بأبيها معجبةٌ))، ((لكل ساقطة لاقطةٌ))...، وصيغة الجملة الشرطية؛ التي ترتّب أمرا على أمر، كقولهم : ((من أشبه أباه فما ظلم))، ((من أكثرَ أسقط))، ((من سلك الجدد أمن العثار))، ((إذا كنت كَذُوباً فكن ذَكُورا))، ((من ينكح الحسناء يعط مهرها))...

3/ التصوير : فقد أكثرت الأمثال عربية من استعمال الاستعارات والكنايات والتشبيهات، بل إن مادة (مثل) تدل على المشابهة، وإذا كان التصوير من أساليب البيان، المجمع على بلاغتها وعلوِ كعبها، فهي في الأمثال أبلغ، « لأنها تجسد المعاني المعقولة، وتشخّصها وتخرجها، في صورة حسية، تزخر بالحركة والألوان والحياة » [2] وتوضيحا لهذا المعنى، نسوق المثلين الآتيين: ((قبلَ الرماء تمْلأُ الكنائن)) ، فهذا يضرب في الاستعداد للأمر قبل وقوعه، وهو أمر معقول مجرَّد، شُبِّه بحالة حسّية، معروفة، وهي استعداد الرجل بملء كنانته سهاما تحسبا للرَّمي، إذا حان وقته، وقولهم : ((كمبتغي الصيد في عريسة الأَسد)) ، يضرب في الرجل يخطئ في طلب الحاجة، في غير موضعها، وهذا هي المشبه، أما المشبه به، فهو الرجل يدَخل عرين الأسد طالبا منه الغنيمة (الصيد)، فيلقى حتفه، ومن التصوير جودة الكناية والتعريض؛ وهو أن تتكلم بشئ وتريد غيره، ولتوضيح الكناية نأخذ المثل الآتي: ((بلغ السيل الزُّبى))، يقال عندما يبلغ الأمر غايته، في الشدة والصعوبة، لكن المتكلم أخفى هذا المعنى، حيث لم يستخدم الألفاظ المعبرة عنه، بل استعمل غيرها مما لا تعبر عنه في وضع اللغة.

4/ السيرورة والذيوع : لعلَّ الصفات السابقة؛ الإيجاز وإصابة المعنى والتصوير، هي من أضفى على المثل صفة السيرورة والذيوع والانتشار، حتى إن العرب يشبهون به كل شئ يذيع ويشيع بين الناس، فيقولون : ((أسير من مثلٍ))، ولكن

---

[1] – يُراد به من عمل عملا كَانَ لَهُ مرجوعه وأصل هذا المثل : « أَن منادياً كَانَ يقوم فِي الْجَاهلِيَّة على أَطَم من آطام الْمَدينَة حين يدْرك الْبُسْر فينادي التَّمْر فِي الْبئْر أَي أَكْثرُوا من سقي نخلكم فَإِن من سقى وجد عَاقبَة سقيه فِي تمره » أبو هلال العسكري، جمهَرة الأَمثال، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1988، ص 214.

[2] – عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار رالفكر، دمشق، سوريا، ط01، 1988، ص 253.

لا يعني هذا أن الأمثال على درجة واحدة من الشيوع، فبغضها أسير من بعض.

5/ للأمثال صيغٌ جوامد، لا تتبدل مع أحوال المخاطبين بها، إفرادا وتثنية وجمعا، وتذكيرا وتأنيثا، فهي تلتزم حالة واحدة، فعندما نقول:((الصيف ضيعت اللبن))، يبقى المثل على حالته (التاء المكسورة)، ولو اختلفت أحوال المخاطبين به، بل تؤدى على ما جاءت عليه عند العرب، ويرجع ذلك لنفاسة المثل وغرابته.

4/ **خروج الأمثال عن القياس:** الأمثال كالشعر يتحملان الضرورات، ويتسامح فيهما، ما لا يتسامح في غيرهما من أنواع الكلام، ولهذا تخرج الأمثال – أحيانا – على القياس، وذلك حرصا منهم على أن يوفروا لها صنوفا من الزخرف الفظي، خاصة ما تعلق منه بالسجع والازدواج، حتى تكون أوقع في النفس وآنق للسمع، وأيضا أنّ بعض الذين تصدر عنهم الأمثال لا يتحكمون في اللغة وقواعدها وضوابطها، كالمثل الصادر عن العامة، وغير العرب، والخروج عن القياس يكون : إما من ناحية بنية الكلمة واشتقاقها، كقولهم : ((هو هالكٌ في الهوالك))، إذ إن وزن(فاعل)، إذا كان صفة لمذكر عاقل، لا يُجمع على (فواعل)، لأن العرب، لا يجمعون على وزن (فواعل) إلا ما كان صفة لمؤنث عاقل ، كضاربة – وضوارب، ويدخل في هذا النوع الأمثال الآتية : ((أجناؤها أبناؤها))، ((أساء سمعا فأساء جابةً)).

وإما من ناحية التركيب والإعراب، كقولهم : ((اعط القوس باريها))، تسكن ياؤه، والصحيح، أنها تنصب.

أنواع الأمثال :

لا تظهر في مؤلفات القدامى منهجية واضحة في تصنيف الأمثال، قصارى اجتهاداتهم استهدفت التمييز بين الأمثال حسب زمنيتها : القديمة (وتشمل الجاهلية والإسلامية) و الجديدة (المولدة) ، أو الأمثال المبدوءة بكلمات على أوزن (أفعل) من سواها، أما من المعاصرين، فيعتبر تصنيف المستشرق الألماني رودلف زلهايم أشهر التصنيفات [1]، فقد قسَّم المادة التي احتشدت بها كتب الأمثال، إلى عدة أنماط، واضعا لكل نمط مصطلحا يدلُّ عليه – وإن كان فيه ما يقال – على النحو الآتي :

1/ **المثل** : هو ما يتحقق معناه في تجارب وخبرات الحياة المتكررة، التي تنطبق على الحالات الشبيهة أو المماثلة الواقعة في سلوكات الناس، ومن أمثلة ذلك قولهم : ((عشب ولا بعير)) [2]، ((أسمع جعجعة ولا أرى طحينا)) [3]، ((إن البغاث بأرضنا يستنسر))، ((نعم كلب في بؤس أهله)) [4]، ((لا يجتمع السيفان في غمد))، ((قد بين الصبح لذي عينين))...

---

[1] – هناك تصنيفات أخرى، متعلقة بعلة نشوئها : كالأمثال الناجمة عن حادث، والناجمة عن تشبيه، والناشئة عن قصة، والناشئة عن حكمة، والناشئة عن شعر، ومتعلقة بالاصطلاح المراد منه، كالمثل السائر والقياسي والخرافي.

[2] - تضرب للذي لا ينتفع بما عنده.

[3] – يضرب للذي يخلف الوعود، أو الذي يكثر الكلام والثرثرة فيما لا نفع فيه.

[4] – أصله أن بدويا قضى جمله، فجعل الكلب يأكل منه، ويضرب لمن ينتفع بمصائب الآخرين.

2/ **التعبير المثلي** : في هذا النوع « لا يعرض أخبار معينة، عن طريق حالة بعينها، ولكنه يبرز أحوال الحياة المتكررة، والعلاقات الإنسانية، في صورة يمكن أن تكون جزءا من جملة » [1]، ولعل الفرق بين المثل والتعبير المثلي، هو أنَّ الأول، يعتمد على التشبيه، أي يصور موقفا معينا، ثم يؤتى به في مواقف مماثلة، أما النوع الثاني: فلا يشترط أن يكون هناك تطابق بين المثل والحالة المماثلة والمشابهة له، فهي بهذا المعنى عبارات قائمة بذاتها، لا تحتاج إلى مطابقة، وإنما تقال بشكل عام، ومن نماذج هذا النوع، قولهم :((سواسية كأسنان المشط))، ((فلان لا يعوي ولا ينبح))، ((سكت ألفا ونطق خلفا))، ((جاؤوا قضهم بقضيضهم)) [2]... ويدخل في هذا النوع كذلك المبالغة في التشبيه، باستعمال صيغة (أفعل من)، ومن نماذجه قولهم: ((أظلم من حية))، ((أبصر من غراب))، ((إنه لأجبن من صافر))...

3/ **الحكمة:** يذكر زلهايم أن الحكمة تجمع كل ما يتصل بالعادات والتقاليد والتدبير، والأقوال السائرة، والعبارت النادرة، وهي مرتبطة بالناس تعبر عن خبرة واسعة، وهي تعتمد على الصياغة المجردة، ويرى أنه ليس من الصدفة أن تنسب إلى الفلاسفة والحكماء، الذين لم يفعلوا أكثر « من أن يضفوا على المثل معنى مجردا، ويحوروا محتواه، باستعمال كلمات عامة فلسفية، ويحولوا النثر إلى نظم ذي إيقاع وقافية » [3]، ومن الحكم التي ذكرها زلهايم في هذا النوع ما يأتي :((السرُّ أمانةٌ))، ((إن الكذوب قد يصدق))، ((عارك بجدّ أو دع))، ((أياك أن يضرب لسانك عنقك))، ((انصر أخاك ظالما أو مظلوما))، ((معاداة العاقل خير من مصادقةَ الأحمق))...

4/ **العبارة التقليدية** : وهي تلك العبارات المتداولة بين العرب، والتي تأخذ معنى الدعاء واللعن، والتحية، والتعزية والتهنئة وما شابه ذلك، ويقابلنا هذا النوع من الأقوال والعبارات الشائعة بين العرب في خطاباتهم اليومية، الكثير في كتب الأمثال، ومن أمثلة ذلك قولهم: ((رماه بأحقاف رأسه))، ((بلغ الله بك أكلأ العمر))، ((على بدء الخير واليمن))، ((بالرِفاء والبنين))، ((لا أرقأ الله دمعته))...

ملاحظات :

1/ لاشك أن معيار التفريق بين المثل والعبارة التقليدية، يرجع إلى أن المثل قائم على التشابه والمطابقة بين مضرب المثل ومورده، بينما العبارة التقليدية، لا مطابقة فيها، وإنما استحسنها الناس لإيجازها وكثرة دورانها على ألسنتهم، فأصبحت

---

[1] – رودلف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، ترجمة وتحقيق : رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1971، ص 30.

[2] – يرى أحد الباحثين أن زلهايم قد خانه التوفيق العلمي، حيث إننا إذا تأملنا النماذج التي مثَّل بها للنوعين الأول والثاني : « فلا نكاد نلمس فرقا بينها، إذ لو وضعنا نماذج المثل تحت التعبير المثلي، وكذلك الأخرى، فلا يغير ذلك من مفهوم المصطلح، الذي أشار إليه زلهايم، فما الفرق بين قولهم :(سواسية كأسنان المشط)، و(عشب ولا بعير) ؟ كلاهما يحمل السمات ذاتها التي عرضنا لها من قبل » مقدمة مُحَمَّد عثمان لكتاب المفضل بن سلمة الضبي، الفاخر في الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2011، ص 14،15

[3] – رودلف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، مرجع سبق ذكره، ص 32.

تجري – عندهم – مجرى الأمثال.

2/ يصعب التمييز في الأمثال بين الجاهلي منها والإسلامي، لاختلاطهما عند الرواة والمؤلفين، ولكن هناك معالم ومعايير، يستطيع الدارس أن يحكم على زمنها، من خلالها : نسبته إلى جاهليين (كون المثل قاله جاهليٌّ أو ارتبط بشخصيات جاهلية، أو ارتبط بأحداث جاهلية كحروب وأيام العرب)، كون المثل يحمل روح الجاهلية، أو يدعو لمعتقد أو سلوك جاهلي، كون العلماء المحققين نصُّوا على جاهلية المثل أو إسلاميته.

تعريف الحكمة :

لغة:

الحكمة في اللغة تطلق على عدة معان، أشهرها ثلاثة:

1/ **العلم** : فالعرب تقول : حَكُم فلان حُكْما وحِكْمة، إذا صار حكيما، أي عالما صاحب حكمة، فكأنَّ حاصل العلم وثمرته، هي الحكمة، ومنه قول النَّمر بن تولب :

وأَبْغض بغيضَكَ بُغْضاً رويداً،	**إذا أَنتَ حاوَلْتَ أَن تَحْكُما** [1]

أي إذا حاولت ان تكون حكيما بمعنى علما وفقيها.

2/ **الإتقان** : وذلك في قولنا : أَحكَم فلان عمله، أي أتقنه، فعمله مُحْكَم،وفي هذا المعنى قول الأعشى يصف القصيدة:

وغَريبة، تأْتي المُلوكَ، حَكيمة،	**... قَدْ قُلْتها ليقالَ: من ذَا قالَها؟** [2]

3/ **المنع** : فيقال : حكَمت السَّفيه، وأحكَمته ، أي منعته وأخذت على يديه، ومنه قول جرير:

أَبَني حنيفةَ، أَحْكِموا سُفَهاءَكم،	**إني أَخافُ عليكمُ أَن أَغْضَبا** [3]

أَي ردُّوهم وكُفُّوهم وامنعوهم من التَّعرُّض لِي، ومن هذا المعنى سُمِّي الحاكم، لأنه يمنع الظلم من الوقوع، وسُمِّي ما يحيط بحنَكَي الفرس (الحكَمة)، لأنَها تمنعه من الجموح والنفار.

اصطلاحا:

للحكمة في تعريفها أقوالا شتَّى، تختلف في ألفاظها، ولكنها تؤدي دلالات متقاربة، فقد عرَّفها الزيات بأنها :« قول رائع موافق للحق، سالم من الحشو، وهي ثمرة الحنكة ونتيجة الخبرة وخلاصة التجربة » [4]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج 12، مصدر سبق ذكره، ص140. مادة [حكَم]

[2] – المصدر نفسه، ج12، ص 141.

[3] – جرير بن عطية، الديوان بشرح مُحَمَّد بن حبيب، تح: نعمان مُحَمَّد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط03، 1986، ص 466.

[4] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، مصر، دط، دت ، ص 18.

وعرِفت بأنها : « تلك العبارة التجريدية، التي تصيب المعنى الصحيح، وتعبر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من خبراتها، ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة » [1]

وقيل : إنّها « قول بليغ موجز، صائب يصدر عن عقل وتجربة وخبرة للحياة، ويتضمن حكما مسلما، في أمر بخير، أو نهي عن شر » [2]

من التعريفات السابقة يتبين أن الحكمة قول موجز مجردَ صائب الفكرة، رائع التعبير، يتضمن معنى مسلماً به، يهدف عادة إلى الخير والصواب، به تجربة إنسانية عميقة، تصدر عمن عركته الحياة وعركها، و محصته التجارب، في أمر من الأمور.

الخصائص الأسلوبية للحكمة :

إن ما قيل عن السمات الأسلوبية الخاصة بالمثل تكاد تنسكب على الحكمة لتشابههما الكبير، على مستوى البنية التركيبية والدلالية، والوظائف التواصلية والتداولية، فالحكمة – كما المثل – تعتمد على سلامة العبارة والإيجاز ودقة التشبيه وجمال الصياغة، ومن أمثلتها عند العرب في الجاهلية ما يلي :

مصارع الرجال تحت بروق الطمع، من سلك الجدد أمن الثار، من ضاق صدره اتسع لسانه،يدك منك وإن كانت شلاء.

الفرق بين المثل والحكمة:

إذا كان الاتفاق بين المثل والحكمة، في أنَّ كلا منهما يتحرَّى الإيجاز في التعبير، وكلاهما شفوي ينقل عبر الرواية، فإن هناك فروقا، تجعلهما يختلفان، منها : .

أن المثل أكثر شيوعا بين الناس.

. أن المثل صاحبه في الأغلب مجهول الهوية بخلاف الحكمة.

. أن المثل يؤتى به للمطابقة بينه وبين الذي ينطبق عليه المثل بعد ضربه، بخلاف الحكمة.

. أن المثل يصدر عن كل فئات المجتمع وطبقاته، أما الحكمة، فلا تصدر في الغالب إلا عن حكيمٍ، أو فيلسوف.

. أن المثل أقل تجريدا وأكثر تخصيصا، أما الحكمة فتنهل من معين الفلسفة، وتنشأ من إعمال الفكر، والتعمق في فهم الحياة، وإدراك حقائقها وأسرارها. .

المقصود من المثل الاحتجاج ومن الحكمة التنبيه والوعظ والإعلام. .

المثل الحقيقة فيه ناتجة عن تجربة، بخلاف الحكمة، التي تصدر عن رؤية حدسية أو تأمل عقلي.

ومع هذا تبقى العلاقة بينهما نسبية، فالمثل يمكن أن يصبح حكمة، إذا كان ضاربا بسهم في التجريد، ويمكن للحكمة أن

---

[1] – عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، مرجع سبق ذكره، ص18.

[2] – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الادبية في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 147.

تصير مثلا، إذا تحقق لها شرط الذيوع والانتشار، ومن أمثلة الحكم التي صارت أمثالا، قولهم: ((شاهدُ البغضِ اللحظُ))، ((إذا رأيت الريح عاصفا فتطامن))، ((ربَّ قولٍ أشد من صولِ))، ((أعذر من أنذر))، ((العود أحمد))، ((النساء حبائل الشيطان))...